

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٧٣ - سُورَةُ الزَّمَلِ

قال المهايي : سميت به لدلالته على عظم أمر الوحي ، لأن أقوى الخلائق كان يرتعد عنده فيتزمل .
وهي مكية ، قيل : إلا قوله تعالى : « إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ » إلى آخر السورة ، وآيها عشرون .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

[١] (يَا أَيُّهَا الْمَزْمِلُ)

[٢] (قُمْ أَلَيْلَ إِلَّا قَلِيلًا)

[٣] (نِصْفَهُ أَوْ أَنْقِصْ مِنْهُ قَلِيلًا)

[٤] (أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ أَنْ تَرْتِيلًا)

« يَا أَيُّهَا الْمَزْمِلُ » أى المزمل . من (تزل) بئياه إذا تلفف بها . فأدغم التاء فى الزاى خوطب ﷺ بحكاية حاله وقت نزول الوحي ، ملاطفةً وتأنيساً وتنشيطاً للتشمر لقيام الليل ، وقيل : معناه المتحمل أعباء النبوة ، من تزل الزمّل ، إذا تحمل الحمل . ففيه استعارة . شبه إجراء التبليغ بتحمل الحمل الثقيل ، بجامع المشقة . قال الشهاب : وأورد عليه أنه مع صحة المعنى الحقيقي ، واعتضاده بالأحاديث الصحيحة ، لا وجه لادعاء التجوز فيه .

وقد يجاب بأن الأحاديث رويت فى نزول سورة (المدثر) لا فى هذه السورة ، كما سيأتى إن شاء الله ، إلا أن يقال : ها بمعنى واحد .

« قُمْ أَلَيْلَ » أى : فيه للصلاة ، ودع التزل للهجوع « إِلَّا قَلِيلًا » أى بحكم الضرورة للاستراحة ، ومصالح البدن ومهماته التى لا يمكن بقاءه بدونها .

ثم بين تعالى قدر القيام خيراً له بقوله : « نِصْفَهُ أَوْ » أى نصف الليل بدل من الليل . « أَوْ أَنْقِصْ مِنْهُ » أى من النصف « قَلِيلًا » أى إلى الثلث .

« أَوْ زِدْ عَلَيْهِ » أى النصف إلى الثلثين ، والمقصود التخيير بين قيام النصف وما فوقه وما دونه . ولا يقال : كيف يكون النصف قليلاً وهو مساوٍ للنصف الآخر ؟ لأن القلة بالنسبة إلى الكل ، لا إلى عدله .

« وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ أَنْ تَرَئِينَآ » أى بيّنه تبيناً ، وترسل فيه رسلاً .
قال الزمخشري : ترتيل القرآن قراءته على ترسل وتؤدة ، بتبيين الحرف ، وإشباع الحركات ، حتى يحىء المتلو منه شبيهاً بالثغر المرتل ، وهو المفاج المشبه بنور الأفحوان ، وأن لا يهذه هذا ، ولا يسرده سرداً .

تنبيه :

قال السيوطي : في الآية استحباب ترتيل القراءة ، وأنه أفضل من الهذّ به ، وهو واضح .
وقد ثبت في السنّة أنه ﷺ كان يقطع قراءته آية آية ، وأنها كانت مفسرة حرفاً حرفاً ، وأنه كان يقف على رؤوس الآي .
واستدل بالآية على أن الترتيل والتدبر ، مع قلة القراءة أفضل من سرعة القراءة مع كثرتها ، لأن المقصود من القرآن فهمه وتدبره ، والفقه فيه ، والعمل به .
قال ابن مسعود : لا تهذّوا القرآن هذّ الشعر ، ولا تنثروه نثر الدقل . قفوا عند عجائبه ، وحرّكوا به القلوب ، ولا يكن همّ أحدكم آخر السورة .
القول في تأويل قوله تعالى :

[٥] (إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا)

« إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا » أى رصيناً ، لوزانة لفظه ، ومتانة معناه ، ورجحانه فيهما على ما عدها . ولما كان الراجح من شأنه ذلك ، تجوز بالثقل عنه . أو ثقيلاً على المتأمل فيه ، لافتقاره إلى مزيد تصفية للسر ، وتجريد للنظر . أو ثقيلاً تلقّيه ، لقول عائشة^(١) رضى الله عنها : رأيته ﷺ ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد ، فيفصم عنه ، وإن جبينه ليتفصد عرقاً . وعلى كل فالجملّة معللة للأمر بالترتيل ، وأن ثقله مما يستدعيه .

(١) يشير إلى الحديث الذي رواه البخاري في : ١ - كتاب بدء الوحي ، ٤ - حدثنا

عبد الله بن يوسف ، حديث رقم ٢ .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٦] (إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلاً)

« إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ » أى نشأته وطبيعة خلقه ومظهره « هِيَ أَشَدُّ وَطْأً » أى موافقة لما يراد منها من جمع الهم ، وهدوء البال . « وَأَقْوَمُ قِيلاً » أى أسدّ مقالاً وأصوبه . قال ابن قتيبة : لأن الليل تهدأ فيه الأصوات ، وتنقطع فيه الحركات ، ويخلص القول ، ولا يكون دون تسمعه وتفهمه حائل .

ونقل السيوطى عن الجاحظ قال : ناشئة الليل هى المعانى المستنبطة من القرآن بالليل ، أشد وطأً أبين أثراً . وأقوم قيلاً ، أصح مما تخرجه الأفكار بالنهار ، خلّو السمع والبصر عن الاشتغال .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٧] (إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا)

[٨] (وَأَذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا)

[٩] (رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا)

« إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا » أى تقبلاً فى مهماتك ، واشتغالاً بها ، فلذا أمرت بقيام الليل . « وَأَذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ » أى دم على ذكره ليلاً ونهاراً . قال الزمخشري : وذكر الله يتناول كل ما كان من ذكر طيب : تسبيح وتهليل وتكبير وتمجيد وتوحيد وصلاة وتلاوة قرآن ، ودراسة علم ، وغير ذلك مما كان رسول الله ﷺ يستغرق به ساعات ليله ونهاره . « وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا » أى أخلص إليه ، بتجريد النفس عن غيره ، إخلاصاً عظيماً . « رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا » أى تسكل إليه مهامك ، فإنه سيكفيكها . قال ابن جرير^(١) : أى فيما يأمرك ، وفوض إليه أسبابك .

(١) انظر الصفحة رقم ١٣٣ من الجزء التاسع والعشرين (طبعة الحلبي الثانية) .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٠] (وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا)

[١١] (وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِيَ النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا)

[١٢] (إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا)

[١٣] (وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا)

[١٤] (يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا)

« وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ » أى من الأذى والفرى « وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا » أى بالإعراض عن مكافاتهم بالمثل ، كما قال تعالى ^(١) (وَدَعِ أَذْلَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ) « وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ » أى دعنى وإياهم ، وكل أمرهم إلى ، فإن بى غنية عنك فى الانتقام منهم . « أُولِيَ النَّعْمَةِ » أى التمتع ، يريد صناديد قريش ومترفيهم . « وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا » أى تمهل عليهم زماناً ، أو إمهلاً قليلاً . « إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا » أى قيوداً « وَجَحِيمًا » أى ناراً شديدة الحر والانتقاد « وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ » أى ينص به آكله فلا يسيغه ، « وَعَذَابًا أَلِيمًا » أى ونوعاً آخر من أنواع العذاب مؤلماً لا يعرف كنهه . أى فلا ترى موكولاً إليه أمرهم ينتقم منهم بمثل ذلك الانتقام . « يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ » أى تضطرب وترتج بالزلزال ، « وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا » أى رملاً متفرقاً منشوراً .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٥] (إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَهِيدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا

إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا)

[١٦] (فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا)

(١) [٣٣ / الأحزاب / ٤٨] .

« إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَهِدًا عَلَيْكُمْ » أى بإجابة من أجب وإباء من أبى
« كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا » أى بدعوه إلى الحق . « فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ
فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا » أى ثقيلاً ، وذلك بإهلاكه ومن معه ، غرقاً فى اليم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٧] (فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا)

[١٨] (السَّمَاءِ مُنْفِطِرٌ بِهِ ، كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا)

[١٩] (إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ ، فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا)

« فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا » أى كيف تقون أنفسم
إن بقيتم على كفركم ، ولم تؤمنوا بالحق ، يوم القيامة ، وحاله فى الهول ما ذكر .

قال ابن أبى الحديد : يقال فى اليوم الشديد : إنه ليشيب نواصى الأطفال ، كلام جار
مجرى المثل . وليس ذلك على حقيقته ، لأن الأمة مجمعة على أن الأطفال لا تتغير خُلاهم فى الآخرة
إلى الشيب . والأصل فى هذا أن الهموم والأحزان إذا توالى على الإنسان شاب سريعاً .
قال أبو الطيب ^(١) :

والهم يحترم الجسم نحافةً ويشيب ناصية الصبي ويهرم

« السَّمَاءِ مُنْفِطِرٌ بِهِ » قال الزخشرى : وصف لليوم بالسدة أيضاً . وأن السماء على

عظمها وإحكامها تنفطر فيه ، فما ظنك بغيرها من الخلائق ؟

قال السمين : وإنما لم تؤنث الصفة لأحد وجوه : منها - تأويله بالمشقق . ومنها - أنها
على النسب ، أى ذات انقطاع ، نحو : مرضع وحائض . ومنها - أنها تذكر وتؤنث .

(١) من قصيدته التى مطلعها :

لهوى القلوب سريرة لا تعلم عَرَضًا نظرتُ وخِلْتُ أنى أسلم

الديوان ص ٢١٨ (طبعة لجنة التأليف عام ١٩٤٤) .

ومنها - أنها اسم جنس يفرق بينه وبين واحده بالتاء ، فيقال : سماءة ، وفي اسم الجنس التذكير والتأنيث . والباء في (بِهِ) سببية أو للاستعانة ، أو بمعنى (في) .
« كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا » أى لأنه لا يخلف وعده ، فاحذروا ذلك اليوم . « إِنَّ هَذِهِ » أى الآيات الناطقة بالوعيد الشديد « تَذَكُّرَةٌ » أى موعظة لمن اعتبر بها واتعظ ، « فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا » أى بالإيمان به ، والعمل بطاعته .

القول في تأويل قوله تعالى :

[٢٠] (إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ، وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، عَلِمَ أَلَّنْ خُصُّوهُ فِتَابٌ عَلَيْكُمْ، فَأَقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ، عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأَقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ، وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا، وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا، وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ، إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) « إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ » أى تهجد فيه هذه التارات المختلفة ، وتتشمز للعبادة فيه هذا التشمز امتثالاً لأمره وتبتلاً إليه ، « وَطَآئِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ » أى يعلمهم كذلك ، « وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ » أى أن يجعلهما على مقادير يجريان عليهما ، فتارة يعتدلان ، وتارة يزيد أحدهما في الآخر ، وبالعكس مما يشق لأجله المواظبة على قيامه بما علمه منكم - أشار إليه ابن كثير - . أو المعنى : يقدر فيهما ما شاء من الأوامر . ومنه تقديره في قيام الليل ما قدره ، مما أمر به أول السورة من التخيير ، ترخيصاً وتيسيراً . « عَلِمَ أَلَّنْ خُصُّوهُ » أى قيام الليل ، على النحو الذى

دأبتم عليه ، أو قيام الليل كله ، للخرج والعسر « فَتَابَ عَلَيْكُمْ » أى عاد عليكم باليسر ورفع الحرج . « فَأَقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ » أى فى صلاة الليل بـلاتقدير . أو المراد : لاتتجاوزوا ماقدرة لـكم ، رحمة بأنفسكم . وفيه رد من غلوهم فى قيام الليل كله ، أو الحرص عليه ، شوقاً إلى العبادة ، وسبقاً إلى السكالات .

قال مقاتل : كان الرجل يصلى الليل كله ، مخافة أن لا يصيب مما أمر به من قيام ما فرض عليه - نقله الرازى - .

« عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى » أى يضمهم المرض عن قيام الليل « وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ » أى للتجارة وغيرها ، فيعتمدون ذلك عن قيام الليل « وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » أى لنصرة الدين ، فلا يتفرغون للقيام فيه « فَأَقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنْهُ » أى من القرآن . ولاتتخرجوا أنفسكم ، لأنه تعالى يريد بكم اليسر ولا يريد بكم العسر .

تنبيهات :

الأول - ذهب كثير من السلف إلى وجوب قيام الليل المفهوم من الأمر به طليعة السورة ، منسوخ بهذه الآيات .

روى ابن جرير^(١) عن عائشة قالت : كنت أجعل لرسول الله ﷺ وسلم حصيراً يصلى عليه من الليل ، فتسامع به الناس فاجتمعوا ، فخرج كالغضب - وكان بهم رحماً - فخشى أن يكتب عليهم قيام الليل ، فقال : يا أيها الناس ؟ اكفوا من الأعمال ما تطيقون ، فإن الله لا يمل من الثواب ، حتى تملوا من العمل ، وخير الأعمال ما دمتم عليه . ونزل القرآن . (يَسْأَلُهَا الْعُمْرُ مَلْ قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ...) الآية ، حتى كان الرجل يربط الحبل ويتعلق ، فمكتوب بذلك ثمانية أشهر ، فرأى الله ما يبتغون من رضوانه فرحمهم ، فردهم إلى الفريضة ، وترك قيام الليل قال ابن كثير : والحديث فى الصحيح بدون زيادة نزول هذه السورة . وهذا السياق قد يوهم أن نزول هذه السورة بالمدينة ، وليس كذلك ، وإنما هى مكية . انتهى كلامه .

(١) انظر الصفحة رقم ١٢٥ من الجزء التاسع والعشرين (طبعة الحلبي الثانية) .

أقول : وبمثل هذه الرواية يستدل على أن مراد السلف بقولهم : (وزلت الآية) الاستشهاد بها في قضية تنطبق عليها - كما ينفاه مراراً - .

وأخرج أيضاً ^(١) عن ابن عباس قال : أمر الله نبيه والمؤمنين بقيام الليل إلا قليلاً . فشق ذلك على المؤمنين ، ثم خفف عنهم فرحمهم ، وأنزل الله بعد هذا (عَلِمَ أَنَّ سَيَكُونُ مِنْكُمْ ...) الآية . فوسع الله - وله الحمد - ولم يضيق .

وعن أبي عبد الرحمن قال : لما نزلت (يَا أَيُّهَا الْمَزْمِلُ) قاموا بها حولا حتى ورمت أقدامهم وسوقهم ، حتى نزلت (فَأَقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنْهُ) فاستراح الناس . وهكذا روى عن سعيد والحسن وعكرمة وقتادة .

قال ابن حجر في (شرح البخاري) : ذهب بعضهم إلى أن صلاة الليل كانت مفروضة ، ثم نسخت بقيام بعض الليل مطلقاً ، ثم نسخ بالتحس . وأنكره المروزي . وذهب بعضهم إلى أنه لم يكن قبل الإبراء صلاة مفروضة .

وقال السيوطي في (الإكمال) : قوله تعالى (قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا) هو منسوخ بعد أن كان واجباً ، بآخر السورة . وقيل : محكم ، فاستدل به على ندب قيام الليل . واستدل به طائفة على وجوبه على النبي ﷺ خاصة . وآخرون على وجوبه على الأمة أيضاً ، ولكن ليس الليل كله ، بل صلاة ما فيه . وعليه الحسن وابن سيرين . انتهى .

أقول : من ذهب إلى أن الأمر محكم وأنه للندب ، يرى أن آخر السورة تعليم لهم الرفق بأنفسهم ، لأنه تاب عليهم باليسر ، ورفع عنهم الآصار . وفيه ما يدل على عنايتهم بالندوب ، وحرصهم عليه ، حتى أفضى الحال إلى الرفق بهم فيه . ويدل عليه أثر عائشة في ربطهم الجبل للتملق به ، استعانة على قراءة القرآن ، وكثرة تلاوته .

الثاني - قال ابن كثير : في قوله تعالى (فَأَقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ) تعبير عن

(١) انظر الصفحة رقم ١٢٥ من الجزء التاسع والعشرين (طبعة الحلبي الثانية) .

الصلاة بالقراءة ، كما قال في سورة سبحان ^(١) (وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ) أى بقراءتك . وقد استدل أصحاب الإمام أبى حنيفة رحمه الله ، بهذه الآية ، على أنه لا تتمين قراءة الفاتحة في الصلاة ، بل لو قرأ بها أو غيرها من القرآن ، ولو بآية ، أجزاء . واعتضدوا بحديث (المسيء صلاته) الذى فى الصحيحين ^(٢) : ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن . وقد أجابهم الجمهور بحديث عبادة بن الصامت ، وهو فى الصحيحين ^(٣) أيضاً ، أن رسول الله ﷺ قال : لا صلاة إلا أن تقرأ بفاتحة الكتاب . انتهى .

الثالث - فى قوله تعالى (وَءَاخِرُونَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) علم من أعلام النبوة . قال ابن كثير : هذه الآية ، بل السورة كلها ، مكية . ولم يكن القتال شرع بعد ، فهى من أكبر دلائل النبوة ، لأنه من باب الإخبار بالمغيبات المستقبلية .

الرابع - قال ابن الفرس : فى قوله (وَءَاخِرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ) فضيلة التجارة ، لسوقها فى الآية مع الجهاد .

أخرج سميد بن منصور عن عمر بن الخطاب قال : ما من حال يأتينى عليه الموت بعد الجهاد فى سبيل الله ، أحب إلى أن يأتينى وأنا ألتس من فضل الله . ثم تلا هذه الآية . وقال السيوطى : هذه الآية أصل فى التجارة .

(١) [١٧ / الإسراء / ١١٠] .

(٢) أخرجه البخارى فى : ١٠ - كتاب الأذان ، ٩٥ - باب وجوب القراءة للإمام والمأموم ، حديث رقم ٤٦١ ، عن أبى هريرة .

وأخرجه مسلم فى : ٤ - كتاب الصلاة ، حديث رقم ٤٥ (طبعنا) .

(٣) أخرجه البخارى فى : ١٠ - كتاب الأذان ، ٩٥ - باب وجوب القراءة للإمام والمأموم ، حديث رقم ٤٦٠ .

وأخرجه مسلم فى كتاب الصلاة ، حديث ٣٤ و ٣٥ و ٣٦ (طبعنا) .

« وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ » أى زكاة أموالكم .

قال ابن كثير : وهذا يدل لمن قال بأن فرض الزكاة نزل بمكة ، لكن مقادير النصب والمخرج لم تبين إلا بالمدينة .

« وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا » يعنى به بذل المال فى سبيل الخيرات على أحسن وجه ، كأن يكون من أطيب المال ، وإعطائه للمستحق من غير تأخير ، واتقاء المن والأذى .
وسر الأمر بـ (الحسن) أن القرض لما كان يعطى بنية الأخذ ، لا يبالى بأى شيء وأى مقدار يعطى منه ، فأشير إلى إثبات المقام الأرفع . ولكونه يحقق الرجوع إليه دل التعبير به على تحقق العوض هنا . « وَمَا تَقْدِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ » أى فى الدنيا من صدقة أو نفقة فى وجوه الخير ، أو عمل بطاعة الله ، أو غير ذلك من أعمال البر « تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا » أى ثواباً مما عندكم من متاع الدنيا . « وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ » أى سلوه غفران ذنوبكم ، « إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ » أى ذو مغفرة لذنوب من تاب إليه وأتاب ، ورحمة أن يماقبهم عليها بعد توبتهم منها .